أول شرارة نجاح

أول شرارة نجاح

حاول الإنسان منذ القدم تفسير الظواهر المميزة التي تبدو له غير طبيعية، أو غير تقليدية، ومنها الذكاء والقدرات المميزة لبعض الأشخاص، وأسرار النجاح الذي حققه من صنعوا التاريخ، وتراوحت تفسيرات الإنسان لهذه الظواهر بين إسنادها إلى قوى غيبية، وبين إسنادها إلى ظروف ومؤثرات محيطة موضوعية أو غير موضوعية.

فقديماً كان الكل يعتقد أن النجاح مثل الذكاء موروثاً؛ ثم بدئنا نكتشف أن الذكاء ينمي ويمكن صناعته وعليه فالنجاح أيضاً له سواعده ودروبه التي تهدي كل من يسلكها تحقيق المعدلات التي سطرها لنفسه وحددها بإيمانه في قدراته على إدارة ذاته وإمكانياته لقيادتها التي تعتبر هي أساس النجاح.

وخلال السنوات الماضية لم يظهر تفسير للنجاح والتميز يمكن صياغته بشكل منهج تدريبي لتخريج، أو إنتاج، بشر مميزين بمقاييس معينة.

ولكن في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات من القرن الماضي، بدأت تتشكل نواة فكر جديد ينظر نظرة مختلفة إلى التفوق والتميز الإنساني، واعتمد هذا الفكر على استيعاب ونقد خلاصة ما كتبته البشرية خلال 300 سنة حول التفوق والنجاح، أو ما يسمى بأدب النجاح.

جاء اهتمام الغرب بأدب النجاح نتيجة عاملين أساسيين، هما:

1- تعزيز دور النجاح الشخصي والمنافسة في المجتمع الغربي، والذي تجلى في تركيز رجال الإعلام على مشاهير الناجحين في مختلف المجالات، من العلم والتعليم إلى الاقتصاد والصناعة، وإلى الفن والرياضة، ووصولا إلى الجريمة والإرهاب.

2- حاجة المؤسسات العملاقة إلى تطوير كوادرها القيادية والإدارية، فمع توسع الاستثمارات العالمية، ظهرت حاجة ماسة لدى مدراء الشركات العملاقة لتوظيف مدراء فروع يعملون بكفاءة عالية، ولم يعد مدير واحد عبقري يستطيع وحده الحفاظ على شركاته التي توسعت بشكل كبير.

هذان العاملان دفعا عددا كبيرا من العلماء لدراسة النجاح والتفوق الإنساني معتمدين على تمويل الشركات الكبيرة للبحوث المضنية في هذا المجال. وجاءت النتائج مذهلة فعلا، وأثبتت نجاحها خلال السنوات العشرين الماضية كعلم حقيقي يقدم منهجا تعليميا لصناعة النجاح والتفوق.

القيادة والإدارة:

يركز أدب النجاح الحديث على مفهومين أساسيين، هما مفهوما القيادة والإدارة، ويطرحان عددا كبيرا من التعاريف لكل منهما. وقد وجدت أن أبسط تعريف للمفهومين هو التالي:

الإدارة: تنفيذ الأمور بطريقة صحيحة.

القيادة: تحديد الأمور الصحيحة ليتم تنفيذها.

يمكننا أن نتخيل مجموعة من العمال ينشرون غابة، في المقدمة تجد عمال النشر يجزون الأشجار بالمناشير الكهربائية، ويعملون حسب خطط موضوعة لهم من قبل الإداريين. يقوم الإداريون أيضا بتأمين كل مستلزمات العمال، من الطعام إلى قطع غيار الآليات، ويقومون برسم الخطط التفصيلية لكل عملية، ويحرصون على تنفيذ الخطط بأفضل شكل ممكن، ويكونون على تواصل مباشر مع عدد كبير من الأشخاص والمهام. أما القائد فهو الذي يتسلق أعلى شجرة ويوجه الإداريين، أو يقول لهم: توقفوا، نحن في الغابة الخاطئة.

يتجلى تطبيق مبادئ القيادة والإدارة بشكل واضح في المؤسسات الكبيرة، خصوصا في أوروبا التسعينات، حيث كان من الشائع أن يقول مدير لمهندس عنده: أنا أدفع لك لتحسب وتحل المسائل، وليس لتفكر بدلا عني، بينما يقول المدير العام لأحد مدرائه المعاونين: أنا أدفع لك لتدير موظفيك بشكل صحيح، وليس لتنقل مشاكلهم إلي.

من الواضح أن الأشخاص الذين ينفذون الأوامر أو يحلون المسائل متوفرون دائما، فهم خريجوا الجامعات الذين حصلوا على بعض الخبرة في عملهم، وهم كثرة ويعانون البطالة ولذلك لا قلق لدى الإدارات على توفرهم.

ولكن كيف تحصل المؤسسة على مدراء جيدين وقادة أذكياء؟

أدب النجاح المعاصر

جاءت الردود على هذا السؤال نتيجة دراسات مطولة ومعمقة على مدى أكثر من ثلاثين عاما، وما زالت مستمرة إلى اليوم. بعض الدراسات شملت دراسة حالات النجاح، وتفصيل طرق تفكير الناجحين اللامعين (نموذج: ديزني وأينشتاين)، وبعض الدراسات قدمت وصفات سريعة للنجاح العام، أو للنجاح في حالات خاصة (مثلا: النجاح في مهن العلاقات العامة، أو المبيعات)، وهناك دراسات أخرى ركزت على تحليل ظواهر النجاح وربطها بمحيطها الاجتماعي.

ساهم في تأليف الكتب في هذا المجال أشخاص ممن يعتبرهم المجتمع ناجحين لامعين، مثل مدراء الشركات العملاقة الذين صنعوا أنفسهم بأنفسهم، والسياسيون البارزون الذين رسموا مستقبل بلادهم وبلدان أخرى، إضافة إلى علماء مختصين.

وبما أن موضوع النجاح الشخصي لم يكن قد أخذ شكل علم حقيقي في ذلك الوقت، فقد ساهم في الكتابة فيه أيضا أشخاص حاولوا نقل بعض أفكار الفلسفات المعروفة إليه.

البرمجة اللغوية العصبية Neuro-Linguistic Programming(NLP)

نلاحظ في هذه النظريات المخطط أن الشخصية هي نتيجة للمحدد الخارجي (الأجداد والمجتمع) أو الداخلي (تجارب الطفولة، العقل الباطن). وبشكل عام نلاحظ هنا تأثر هذه النظريات بتجربة بافلوف عن الفعل المنعكس الشرطي، والتي يمكن تمثيلها بأن لكل مثير أستجابة ولقد رصد العالم بافلوف وجود أفعال غريزية أو لإرادية تتولد تلقائيا استجابة لمولد داخلي أو خارجي، وأثبت إمكانية توليد هذه الأفعال اللاإرادية بتقليد الباعث الأساسي أو ربطه بباعث آخر.

لا شك أن لهذه النظريات قدرا من الصحة، وقد أجرى الروس (السوفييت) تجارب مطولة على هذا النوع من النظريات، وخرجت من عندهم أفكار مدارس المتفوقين ومناهج تحريض الإبداع، وأثبتوا إمكانية تعليم الذكاء في تجاربهم على لعبة الشطرنج وعلى تقنيات الحساب الذهني فائق السرعة.

أما في مجال القيادة والإدارة، فلاشك أن هذه النظريات لاقت فشلا ذريعا، والسبب الأساسي أنها أهملت المواهب الأساسية للإنسان التي تميزه عن الحيوان. لقد كان تطبيق هذه النظرية في محاولات تدريب الكوادر القيادية والإدارية أهم عامل في نقضها وإثبات الحاجة إلى مستوى جديد من التفكير في هذا المجال.

وجاء المستوى الجديد ليقول: "الإنسان يستطيع تحديد شخصيته بنفسه، وتشكيلها كما يريد، بغض النظر عن تراث أجداده، ومهما كانت تجارب طفولته، وعلى الرغم من كل ضغوط مجتمعه" وظهر اتجاهان أساسيان حتى الآن يعتمدان هذا المستوى في معالجة الموضوع هما البرمجة اللغوية العصبية، ونظرية العادات السبع.

تعني هذه العبارة أن الإنسان يستطيع برمجة جهازه العصبي بلغة معينة. البرمجة هي تشكيل رؤية عن العالم الخارجي، والجهاز العصبي هو الجهاز الذي يدير كل وظائف جسم الإنسان، أما اللغة، فهي وسيلة تواصل بين الإنسان وجهازه العصبي. وممارسة البرمجة اللغوية العصبية هو ايجاد برمجة معينة للاستجابة لأوضاع محددة في العالم الخارجي.

تبدو هذه النظرية كتوسيع آخر لتجربة بافلوف، ولكنها ليست كذلك، فهي تضيف بعدا جديدا إلى تجربة بافلوف هو إدراكها لإرادة الإنسان وقدرته على توليد الباعث وتحديد الاستجابة له، وتدريب نفسه على توليد هذه الاستجابة لهذا الباعث، حتى يصبح الأمر لاإراديا. ولذلك لا يمكن إجمال NLP مع توسيعات نظرية بافلوف.

إن NLP منهج مستقل يتقاطع مع تجربة بافلوف في بعض التفاصيل، أما المبدأ فهو مختلف كليا. ويعتمد على فعل إرادي واع يتم تحويله تدريجيا إلى فعل لاإرادي عن طريق برمجة الجهاز العصبي بلغة معينة.

في منتصف السبعينات من القرن الماضي ظهر أول كتاب يحمل اسم البرمجة اللغوية العصبية، وقد وضعه كل من جون غرندر (عالم لغويات) وريشاردباندلر

(عالم رياضيات). جاء هذا الكتاب تتمة لأعمال قام بها آخرون، وقد تابع تطويره آخرون أيضا، ومازال تطويره مستمرا إلى يومنا هذا.

ولكن في مجالات تطبيقه الأخرى، مثل تطوير الشخصية، وإتقان الأداء، والتعليم وتربية الأطفال، أثبتت تقنيات NLP نجاحا هائلا، وأصبح اليوم أداة لا غنى عنها في المؤسسات الكبيرة.

مدخل إلي البرمجة العصبية

البرمجة اللغوية العصبية (NLP) مجموعة طرق وأساليب تعتمد على مبادئ نفسية تهدف لحل بعض الأزمات النفسية ومساعدة الأشخاص على تحقيق نجاحات وإنجازات أفضل في حياتهم. تتميز هذه المدرسة النفسية بأن متقن أساليبها لا يحتاج معالج خارجي فهي يمكن أن تكون وسيلة علاج نفسي سلوكي ذاتي, تحاول أن تحدد خطة واضحة للنجاح ثم استخدام أساليب نفسية لتعزيز السلوك الأنجع ومحاولة تفكيك المعتقدات القديمة التي تشخص على أنها معيقة لتطور الفرد, ومن هنا جاء تسميتها بالبرمجة أي أنها تعيد برمجة العقل عن طريق اللسان(اللغة).

أول من طرح أسلوب البرمجة اللغوية العصبية كان ريتشارد باندلر وجون جريندر عام 1973م كمجموعة نماذج ومبادئ لوصف العلاقة بين العقل واللغة (سواء كانت لغة حرفية أو غير حرفية (جسدية) وكيف يجب تنظيم العلاقة بينهما (برمجة) للتأثير على عقل الشخص وجسده وتفكيره. هذا التأثير قد يكون بعلم ووعي الشخص المعالَج أو لاوعيه.ودراسة لبنية الخبرة الشخصية, فهي أساسا تتأسس على أن سلوك الفرد بكامله له بنية قابلة للتحديد عمليا.

وبهذا نجد أن (باندلر) قد أضاف شيئا جديدا هو (البرامج العقلية). إلى هنا لم يكن العالمان قد وضعا (علما) بالمعنى المعروف لمصطلح العلم، ولكن ما فعلاه كان هو الإبداع الحقيقي في الـ NLP ومن أجل أن يعطيا اكتشافيهما صبغة علمية حاولا إضافة بعض الإضافات، فتشكلت النواة الأولى للـ NLP من :

مكونات البرمجة العصبية

1. إطار فكري يتمثل في بعض الآراء والأفكار الفلسفية للفيلسوف كورزيبسكي (افتراضات)
2. مهارة النمذجة التي اكتسباها من خلال تجربتهما مع ميلتون وفرجينيا.
3. مهارات فرتزبيرلز أحدي المؤسسين لنظرية العلاج الجشط التي.
4. البرامج العقلية.(steave, Andreas., 1987:18)

فسحر هذا العلم هو في قدرته على تحويل هذه (العلوم المدمجة) إلى تقنيات فعالة مؤثرة كما تري في هذا المثال التوضيح العملي اعتمادا علي البرامج العقلية:

مر حكيم بجمله علي ثلاث أخوة متعاركين علي تقسيم ميراث من والدهم مكون من سبعة عشر جملاً، وآفادو أنهم يريدون تقسيمهم بحيث أن يذهبن صفهم إلى الأول، والثلث الآخر إلى الثاني، والتسع للثالث؛ دون أن نذبح جملاً؟

الحكي مس أعطيكم جملي هدية، الآن تمتلكون 18 جملاً، النصف يذهب إلى الأكبر؛ أي تسعة جمال، والثلث يذهب إلى الابن الأوسط؛ أي ستة جمال، والتسع يذهب إلى الابن الأصغر؛ أي اثنان؛ إن عدد الجمال التي وزعناها فقط 17 جملاً، الباقي (1) هو الذي أعطيتكم إياه، إن كان بإمكانكم أن تعيدوه لي، سأتمكن من الاستمرار في رحلتي). فتكون هنا البرمجة اللغوية العصبية جمل الرجل الحكيم الجمل الثامن عشرا؟ (سو نايت، 2004: 121)